الإسلام والأديان

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م

رقم الإيداع ٢٣٢١٨ / ٢٠٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية - القاهرة
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٥١٤٣١٤١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٥١١١٧٥٠

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

الإسلام والأديان

دراسة مقارنة

د. مصطفى حلمي

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

دار ابن الجوزي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وقال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» رواه مسلم عن أبي هريرة.

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد ،،،

فنحمد الله، بعد مرور نحو عشر سنوات -على إصدار الطبعة الأولى للكتاب- تغيرت أمور كثيرة، منها تفكك الاتحاد السوفيتي وتهافت الماركسية، فلسفيًا وسياسيًا واقتصاديًا، وعلى أثرها ظهر القطب الواحد للسيطرة على العالم وإخضاعه للعولمة، أو الأمركة، ويتصل بصميم موضوع الكتاب عودة الدين إلى مركز الصدارة، ثقافيًا وسياسيًا ومنقذًا للحضارة، وربما أصبح سببًا للصراع بين الحضارات كما يتنبأ هنتجتون المنظِّر الأمريكي.

كذلك صدرت مؤلفات وبحوث لا تكاد تُحصى بتسجيل هذا الحدث الذي فاجأ العلمانيين وجاء على غير توقع، فكان سببًا للارتباك، فحصره البعض في «الأصولية» ولو كان البعض قد أنصت للتفسير الديني للتاريخ والحضارات «كما فعل توينبي» لما اضطر أمام هذه الظاهرة للتمحُّك تعليلًا وتفسيرًا لهول الصدمة التي جاءت كالثورة كما وصفتها كارين أرمسترونج، إذ تبين أن التفسيرات العلمانية للدين -التي احتلت المكانة الأولى في الثقافة الغربية لعشرات السنين- كانت غطاءً مؤقتًا لحقائق ثابتة، كالمياه الجوفية تحت سطح الأرض، ثم اندفعت بقوة لكي تقيم ميزان الاعتدال في الصِّراع الذي كان محتدمًا بين المنطق العقلاني والمنطق الروحي.

يقول الرئيس علي بيجوفيتش رحمه الله تعالى: إن العودة إلى الدين أصبحت ظاهرة عالمية في كل مكان قمع فيه الشيوعيون الدين على مدى خمسين إلى سبعين سنة ... نعم هناك أسلمة في البوسنة .. وهي صحوة إسلامية بقدر ما فيها من صحوة أرثوذكسية وكاثوليكية، ولكنَّ الفرق هو أن عودة المسيحيين إلى دينهم لم تلفت انتباه أوروبا المسيحية وهو أمر أفهمه ولا ألومها عليه، أما عودة المسلمين إلى دينهم فقد اعتبرته أمرًا مفزعًا.

[المختار الإسلامي، القاهرة، ربيع الأول سنة ١٤٢٥ هـ مايو سنة ٢٠٠٤م، ص ٩٥].

وسنرى كيف استردت الكنيسة سلطتها في إدارة دفَّة الأمور السياسية، وكذلك كيف ظل اليهود طوال تاريخهم المليء بالهجرات والتشتت في أنحاء العالم يعملون لذلك اليوم الموعود -أي العودة إلى القدس- في سرية وصمت، ثم أعلنوا ذلك جهارًا عندما وجدوا أن العالم مهيَّأ لقبول أهدافهم.

أما الإسلام فبعد أن كانت دولته عالمية في ظل الخلافة انحسر نفوذه السياسي العالمي؛ لأسباب ذاتية وقصور في الأمة الإسلامية، مع هجمات أعدائه التي لم تهدأ أبدًا منذ بعثة الرسول ﷺ.

ويشتمل الكتاب في طبعته الثانية على مدخل للدراسة، وثمانية فصول، خصصنا لكل فصل دراسة ديانة من الأديان بإجمال، وهي على التوالي: البرهمية أو الهندوكية، البوذية، الزرادشتية أو المجوسية، اليهودية، النصرانية، وتناولنا في الفصل السابع الحديث عن إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ بطريقين؛ أحدهما بما ورد في الكتاب المقدس، والثاني بالدليل العقلي المحض.

وجاء الفصل الأخير لإتمام الدراسة في قالب مقارنة مجملة لبيان ظهور الإسلام بالحجة والبرهان.

والله تعالى أسألُ أن يحقق هذا الكتاب غرضه في الدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة الموعظة الحسنة، وأن يرسَخ الإيمان ويثبتَه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية في ٧ ربيع الثاني سنة ١٤٢٢ هـ

٣٠ يونيو سنة ٢٠٠١ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد،،،

فإن هذه الصفحات تتضمن محاضرات في علم مقارنة الأديان، ألقيتها على طلاب الدراسات العليا بقسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة أثناء العامين ١٤٠٩ و١٤١٠ هـ، وقد التزمت فيها اختصار المادة العلمية مكتفيًا بالمسائل الرئيسية، مع الإحالة إلى المراجع والمصادر المختصة، والعناية بإجراء الموازنات بعد عرض الآراء المختلفة في تعريف الدين والترجيح بينها، مستندًا إلى الدراسة المستوعبة لأصولها وفروعها للدكتور محمد عبد الله دراز رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الدين».

وإزاء سيل الكتب التي تصدرها المطابع بلا انقطاع عن موضوع الدين وما يتصل به من قضايا رئيسية أو فرعية، فإن التساؤلات المطروحة دائمًا وتحتاج إلى عناية خاصة هي:

١- بأي منهج يدرس أصحاب هذه الكتب قضايا الدين؟

٢- ثم، هل يستطيع المؤلف التخلص من عقيدته عندما يكتب عن دينه؟

٣- ويبقى استفسار أخير عن مفهوم الدين في تصورات الكُتَّاب والمؤلفين، ذلك لأن الدين (مفاهيم مختلفة في أذهان الناس؛ ففي الغرب يعني الدين بصورة رئيسية نظام إيمان وعبادة يتميز عن الولاء الوطني والسياسي .. أما بالنسبة للمسلمين فالدين يعني أكثر من ذلك بكثير، فالإسلام يشمل في معناه ما نعنيه في الغرب كلمة الحضارة المسيحية والدين المسيحي مجتمعين»[1].

---

(١) ص٣٢ من كتاب الغرب والشرق الأوسط، برنارد لويس، ترجمة نبيل صبحي، كتاب المختار، بدون تاريخ، سلسلة: نحو طلائع إسلامية واعية.

ونفهم من هذا التعريف - على إيجازه- أحد سمات الكمال للإسلام.

وليس يعني ذلك أننا ندافع عن الإسلام، فهو غني عن ذلك، ولكن إذا استندنا إلى الأصول المشتركة بين الأديان، وعرضناها بمنهجية علمية مقارنة تلتزم بتوثيق المصادر ومخاطبة العقل واستخدام أساليب الجدل المنطقي، إذا فعلنا ذلك سيظهر الترجيح الذي لا يقبل المكابرة.

بمثل هذه الرؤية الواضحة نرى أن لافتة «الحيدة العلمية» لم تعد تقنع أحدًا عند البحث في الأديان، فما من باحث إلا وهو حامل عقيدته التي لا يستطيع التخلي عنها مهما زعم ارتداء ثوب «الحيدة».

يقول الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق: (إن الواقع يشهد بأن حرية الرأي مسألة ظاهرية أكثر منها حقيقية، وأن الإنسان ليس حر التفكير على الإطلاق كما يشاء في مسائل معينة .. ثم إن التعصب الموروث لدى المسيحيين ضد الإسلام وأتباعه قد عاش فيهم دهورًا طويلة، حتى أصبح جزءًا من كيانهم»[1].

ومع هذا فإذا أردنا البحث عن أفضل الطرق لتحييد المواقف بقدر الإمكان، فيجب علينا إقامة بحوثنا على عناصر محايدة -كالأرقام الرياضية- مُعتَرَفٌ بها في دائرة مصطلحات الأديان وعلى ضوء مفاهيم علمائها ورجالها، فما من دين إلا وله كتاب ونبي «يختلف بشأنه في الأديان الوضعية» ومعتقدات وعبادات وشرائع ونظام للقيم وتصور للحياة والنفس الإنسانية.

---

(١) أوروبا والإسلام ص١٣٥، طبعة دار الشعب بالقاهرة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

فتعالوا إلى التعرف على ما يتميز به الإسلام بأدلة عقلية مجرَّدة

≻ القرآن كلام الله المنزل، لم يكتبه بشر ولم تتدخل الأيدي لنسخه وتبديل معانيه وتغييرها حسب الأهواء.

≻ إثبات خصائص النبوة والرسالة لمحمدﷺ إذا قورنت بالأنبياء والرسل جميعًا وهو القياس الذي التزمه هرقل ملك الروم كما سيأتي، ويبقى ملزمًا لأهل الكتاب لإيمانهم بالرسل والأنبياء قبله، فهو لا يخرج في أخلاقه وأعماله ودعوته عما فعله الرسل السابقون عليه.

≻ عقيدة التوحيد -وهي ميزة الإسلام الكبرى وغايته القصوى- لا تشوبها شائبة من عبادة مخلوق أيًّا كان، سواء في السماء كالشمس والقمر والكواكب، أو في الأرض من أوثان أو كهنة أو رجال دين.

≻ إن شريعته بالمقارنة بغيرها تجمع بين الفضل والعدل. وقيمه الخُلُقية البالغة في الرقي حدًّا لا يجارى، إذ لو لم نقرأ عمن طبقها وما زلنا نعيش مع من يفعل؛ لظننا أنها مجرد مُثلٍ عليا تصلح لكائن آخر غير الإنسان.

≻ بيان حقيقة الإنسان ودوره في القيام «بالخلافة» بشروطها، والهداية إلى طريق الحياة الطيبة في الدنيا الموصل إلى السعادة في الآخرة.

≻ وعلى الإجمال فإن الإسلام يُشخِّص الإنسان بذاتيته المتفردة، فلا هو كائن «حيواني» بحت، ولا هو كائن «ملائكي» نوراني بحت، بل أصله من طين ثم نفخ فيه الروح[1].

---

(١) يقول نجم الدين البغدادي: (إن العالم على ثلاثة أضرب: عقل محض كالملائكة، وشهوة محضة كالبهائم، ومركب من الأمرين وهم الثقلان، فالطرفان لا مشقة عليهما؛ أما الملائكة فلعدم الشهوة المعارضة لعقولهم، وأما البهائم فلعدم التكليف، والثقلان «الجن والإنس» واسطة عليها المشقة لتنازع العقل والشهوة في مراديها. فيبعث الإنسان بينهما كالمخلص بين متخاصمين) ص٢٠٤ من كتاب الانتصارات الإسلامية في علم مقارنة الأديان، نجم الدين البغدادي الطوفي «٧١٦هـ» تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مطبعة دار البيان بمصر ١٩٨٣ م.

➢ والإنسان يظل -منذ ولادته فموته ثم بعثه- مستقلًا بذاته لا يفنى في «الكل» خلافًا لعقائد الهنادكة والبوذية. وهو حرُّ الإرادة مسئول عن أفعاله ولا يتحمل أخطاء غيره أو يولد حاملًا للخطايا كما يعتقد النصارى.

➢والناس في الإسلام سواسية كأسنان المشط، ولكن يتفاضلون بالإيمان والتقوى والعمل الصالح، خلافًا لليهود الذين يتوهمون أنهم وحدهم «شعب الله المختار».

➢ ويحذرنا الإسلام من إبليس العدو اللدود وأعوانه ويعرفنا بطرق محاربته ويضعه في حجمه الحقيقي تصحيحًا لعقائد المجوس والنصارى[١].

➢ أمَّته بتاريخها -وأكثر صفحاته ناصعة البياض فلا تجاريها أمة أخرى في جهادها وتضحياتها وبذلها الأنفس والنفائس لا لغرض إلا لتكون كلمة الله هي العليا، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر- لا للسيطرة أو الاستعمال أو استعباد الشعوب وقهرها وسلب خيراتها والاستعلاء عليها.

➢ وربما يندهش ويتعجب الباحثون والمراقبون من غير المسلمين، ولكننا لا نفعل[٢]، إنهم لم ينتبهوا إلى أن الأمة الإسلامية هي ثمرة الإسلام؛ كانت تقود حضارة العالم في حالة

---

(١) وتذكر أرمسترونج أن الشيطان في المسيحية كائن ذو شر قاهر على حين أنه حتى في الإسلام كائن يمكن ترويضه والتغلب عليه، ولكنها أخطأت بقولها: (حتى إن القرآن الكريم يومئ أنه حتى الشيطان يمكن أن يتلقى المغفرة في اليوم الآخر) ص٤٥٠ من كتابها «معارك في سبيل الله» ترجمة د. فاطمة نصر ود. محمد عناني، ط كتاب الطور سنة ٢٠٠٠م.
والشيطان بموجب خطيئة آدم أصبح يملك إماتة الإنسان، حيث وقف الإله أمام الشيطان عاجزًا لا يستطيع أن يسترد الإنسان أو يخلصه من بين براثنه -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- ص١٨٩ من كتاب الحقيقة المقلقة .. الله والدين والإنسان - للدكتور محمد الحسيني إسماعيل ط. الأهرام سنة ١٩٩٦ م.
ويعظم النصارى أيضًا من شأن الشيطان بحيث يعتقدون أنه نال من مشيئة الله تعالى، ويسمونه في الكتاب المقدس المسيحي أي العهد الجديد: «رئيس هذا العالم» [يوحنا ١٦: ١١] كأنه صاحب الكلمة النافذة والحاكم الذي يقضي في هذه الحياة الدنيا، ص١١٦، تعليق محمد مختار مترجم كتاب «ديدات يواجه راعي الكنيسة في السويد» المختار الإسلامي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) ينظر كتابنا «الصحوة الإسلامية: عودة إلى الذات» دار الدعوة بالإسكندرية.

قوتها وازدهارها، وظل الإسلام هو درعها، تقاوم أعداءها وهي في حالات الضعف وتكالُب الأمم عليها، وآية ذلك انتصار المجاهدين الأفغان الدال على أن عِرق الأمة ما زال -بالرغم من ضعفها- ينبض بقوة ليطرد عنها الأعداء.

➢ وحري بالعالم الإسلامي أن يواصل دعمه لهذا الجهاد العظيم ويستفيد من آثاره لتقوية حركة الصحوة وامتدادها إلى الجمهوريات الإسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار الروسي؛ لأن حركة المقاومة قد بدأت ولا بد من استمرارها، إذ لا يخفى أن حملات القمع تشتد، لأن أهلها مسلمون، وأكد كبيرهم ذلك عندما صرَّح بأن معضلاته اثنتان: الإسلام والأزمة الاقتصادية.

➢ كذلك يعطينا الإسلام التصورات الكاملة عن الحياة الآخرة؛ لأنها الحياة الحقيقة ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، فاقتضت طبيعتها وصفها وصفًا دقيقًا كاملًا لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وعرَّفنا بها، ترغيبًا في حياة النعيم المقيم، وتحذيرًا من الجحيم.

➢ وإننا لعلى يقين من أن أي باحث يستخدم العقل المجرد والضمير الحي في مراجعة ما قررناه بالأدلة، فيسهل عليه رؤية الحق والإذعان له.

وإذا كانت الأديان هي موضوع دراستنا، فإن واقع العصر الذي نعيشه الآن، يفرض علينا تناول بعض الظواهر البارزة بالعرض والتحليل:

➢ سقطت أقنعة المذاهب والأيدلوجيات[١]، وظهرت الوجوه سافرة، فلم يعد يخفى على المتابع للأحداث العالمية الأخيرة عودة العقائد الدينية مرة أخرى شرقًا وغربًا وراء التصريحات والتحركات والقرارات السياسية، وتحول الصراع من مجال المذاهب إلى مجال الدين.

➢ إن هذه الظواهر الطارئة على العصر في السنوات الآخيرة -وما زالت تتوالى- لا تكاد تخفى على أحد، منها: استرداد الكنيسة لسلطانها الذي فقدته منذ بدء النهضة وقيادتها لمجريات الأمور السياسية[٢]، ومحاولة استرداد دورها الذي فقدته منذ الثورة الفرنسية، وحملات التبشير[٣] ونشاط الاستشراق كطلائع للغزو العسكري في البداية، ثم

---

(١) ومن مظاهر تهاوي المذاهب والنظريات أننا رأينا الماركسية يكيل لها أتباعها الطعنات في مواضع قاتلة، وعلى رأسها إباحة تعدد الأحزاب وإقامة السوق الحرة، والسماح للكنائس بأداء دورها والانفتاح على الغرب .. ونتساءل: أين القوميات الآن وفي مقدمتها «العربية» التي استُخدمت طوال سنوات لطعن الوحدة الإسلامية وضرب الإسفين بين الأمة الواحدة؟! وأين الحياد الإيجابي وهناك في كشمير يذبح المسلمون ويقتل أبناؤهم وتنتهك أعراض نسائهم على أيدي الهندوكيين، وتتسرب أيضًا أنباء مفجعة عن اضطهاد المسلمين في الصين؟!

وفي أوروبا المتحضرة التي ترفع شعار الحريات وحقوق الإنسان كشفت عن نفسها حيث كانت تعني «الإنسان الغربي وحده» وهاهي مذعورة ترفع رايات التحذير من الإسلام والمسلمين، لا لسبب إلا بدافع الحقد المتوارث من الحروب الصليبية!

(٢) أمر بابا الفاتيكان في أواخر أبريل ١٩٩٠م بعقد اجتماع غير عادي لكبار الأساقفة في روما؛ لبحث المواقف في أوروبا الشرقية، وصرح بأنه يجب على الكنيسة أن تسعى لملء هذا الفراغ على المستوى الرسمي. «مجلة المختار الإسلامي، العدد ٩١، المحرم ١٤١١هـ، أغسطس ١٩٩٠م ص٧٥».

(٣) كتب «رايتي دافيد» على أثر اعتناقه للإسلام يقول: (كانت المدارس والمعاهد التي درست بها تحارب الإسلام وتحاول صدنا عن سبيله) ص٩١، وعرف التبشير ببلاده أنه: (التعرض للمبادئ الإسلامية والتنكر للقرآن) أي أن نشاط المعاهد التبشرية لم يقتصر على البلدان الإسلامية بل كان دأبها في أوروبا للسيطرة على العقول، ص٩٧ من كتاب «الإسلام يتحدى المذاهب والأديان» محمود حمدي الجريسي، ط. دار التراث العربي ١٩٧٦م.

استمراره في تغذية الغزو الثقافي والحرب الفكرية، والكتابات العدائية المغرضة ضد الإسلام والرسول ﷺ[١] وتحريك العملاء وتشجيع الأقلام الحاقدة لتنفث سمومها لإجهاض حركة اليقظة الإسلامية، والتحام المذهب البروتستنتي في النصرانية مع الصهيونية لإنشاء وتدعيم إسرائيل على أساس عقيدة دينية تغذيها أحلام توراتية يشترك في الإيمان بها كل من اليهود والنصارى البروتستانت ومعظمهم من الأمريكيين[٢]. ويأتي

---

(١) ويؤسفنا أن هيئة اليونسكو انضمت إلى زمرة المهاجمين للإسلام، وخانت بذلك رسالتها. انظر التفاصيل بكتاب: مفتريات اليونسكو على الإسلام، محمد عبد الله السمان، المختار الإسلامي «١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م».

(٢) وهناك أيضًا نحو أربعين مليون أمريكي يؤمنون بعقيدة معينة تسمى «عقيدة العصر الألفي السعيد» وخلاصتها أن الله قد وعد بني إسرائيل أن تقوم لهم في آخر الزمان دولة، وهم يؤمنون أن يوم القيامة سيأتي، ومن الخير أن يأتي يوم القيامة سريعًا بعده، وستقوم معركة بين قوى الخير وقوى الشر، وأن المسيحيين سيبتهجون عندما تنتصر قوى الخير، وتتم إبادة كل اليهود، وتسود المسيحية. ص٦٧- ٦٨ من كتاب «العرب وإسرائيل - شقاق أم وفاق» للأستاذ أحمد ديدات وترجمة علي الجوهري، ط. دار الفضيلة بمصر ودبي ١٩٩٠م.

وإذا تتبعنا مواضع التحام المذهب البروتستانتي بالصهيونية، فسنلاحظ أنه أثمر الخطوات السياسية المتدرجة نحو إنشاء إسرائيل وتدعيمها، وكان معظم الزعماء السياسيين المسئولين عن ذلك في بريطانيا وأمريكا من البروتستانت. وآية ذلك أن «مارتن لوثر» مؤسس الحركة قد وصف بأنه «شبه يهودي» أو نصف يهودي، واعتبر المبادئ البروتستانتية في القرن السادس عشر بمثابة بعث «دعوي» أو يهودي، وحتى عندما تغير موقف لوثر من اليهود كتب يقول: (من الذي يحول دون اليهود وعودتهم إلى أرضهم في يهودا؟ لا أحد، إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون لرحلتهم لا لشيء إلا لنتخلص منهم. إنهم عبء ثقيل علينا وهم بلاء وجودنا).

وفي ظل الاستعمار البريطاني لبلدان العالم العربي والإسلامي، كان مارك سايكس -الذي تحول للصهيونية وأحد مساعدي لويد جورج- القوة المحركة للسياسة البريطانية الخاصة بفلسطين والتي أدت إلى وعد بلفور، ثم أعطت معاهدة «سايكس بيكو» فلسطين هوية جغرافية لأول مرة في التاريخ الحديث. كذلك فإن التعليل الصحيح لانحياز أمريكا لإسرائيل لا يقتصر على «اللوبي» الصهيوني، ولكن يرجع إلى تغلغل الأفكار العريضة للصهيونية في التفكير الأمريكي، فأثمرت شخصيات لعبت دورها بدافع عقائدي، أمثال: ترومان وكارتر الذي كانت خلفيته البروتستانتية وآراؤه الدينية مرتبطة بسياسته. ينظر كتاب «الصهيونية غير اليهودية - جذورها في التاريخ الغربي» =

التطور الأخير غير المتوقع من قبل؛ أي زوال العداء بين المعسكرين الشيوعي والغربي، والتكتل العدائي نحو الأمة الإسلامية الذي بلغ أشده في هذه الأيام.

➢ كذلك لم يعد بمقدور أحد أن يشكك في تحول اليهودية إلى دين سياسي يغذي الإسرائيليين بأحلام إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، واتخاذ بروتوكولات حكماء صهيون دليلًا للعمل، ووضع محتويات العهد القديم والتلمود موضع التنفيذ للسيطرة على العالم، فإن هذه البروتوكولات (موجودة في المعابد اليهودية في كل أنحاء العالم بما في ذلك مصر، وأن حاخامات المعابد يحفظونها عن ظهر قلب، ولأنها بروتوكولات سياسة فإن الحاخام يشرح الكثير منها في أيام السبت دون أن يذكر أن هذه هي البروتوكولات)[1].

➢ هذا، وإذا كان الإسلام في غير حاجة للدفاع عنه كما أسلفنا، فإننا سنلتزم -كأحد طرق الاستدلال- بالموازنة بينه وبين غيره من الأديان، سواء أكانت وضعية أو سماوية، وعندئذٍ ستظهر مزاياه تباعًا كلما انتقلنا من مبحث إلى آخر، وستتضح بجلاء الإشعاعات المضيئة للآية الكريمة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية في ٧ من المحرم سنة ١٤١١ هـ

٢٨ من يوليو سنة ١٩٩٠ م

= تأليف ربحينا الشريف، وترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، الكويت «صفحات ١٨ - ١٩ - ٤٥ - ٤٧ - ١٦٩ - ١٧٠ - ٢٠٤ - ٢٧٥».

وقد كتبت في مقدمة بحثها تقول: (وحتى نضع الأمور في نصابها، سنبين كيف أصبح التيار الخفي للحضارة والثقافة الغربية ملوثًا بالأساطير الصهيونية الملوثة، سواء الدينية منها أو العلمانية) ص١٨.

(١) الإرهابيون الأوائل جيراننا الجدد ص١٨، وجيه أبو ذكري، المكتب المصري الحديث بالقاهرة ١٩٨٧م، وقد جاء هذا التصريح على لسان طبيب أسنان يهودي مقيم في مصر ورفض الهجرة إلى إسرائيل.

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد.

فإن ظاهرة «التدين» قد اجتذبت الكثير من العلماء والباحثين في مجال العلوم الإنسانية، لتحليلها وتأصيلها، وبيان أوجه الاختلاف بين العقائد والأديان، إما بمنهج تاريخي، أو بمنهج مقارن، أو بمنهج تحليلي لبيان النشأة والتطور، وعلاقة العقائد بينها وبين بعض بالتأثير والتأثر.

ولا شك أن علم مقارنة الأديان قد حقق نتائج باهرة تجعلنا في موقف أفضل من أهل القرون السابقة، حيث ظهرت كثير من الأبحاث والدراسات والمخطوطات المحققة كلها تجعلنا أكثر دقة في الحكم، وأكثر اقترابًا من فهم ما يدور حول العقائد والأديان، لعل في مقدمتها التساؤل عن أي العقائد والأديان أحق بالاتباع؟ وتزداد أهمية السؤال إذا عرفنا أننا نعيش عصر العقائد الدينية بعد فشل الأيديولوجيات.

وإذا ثبت إخفاق الأيديولوجيات[1] بسبب عدم تلبيتها لحاجات النفس الإنسانية، أو تحقيقها للسعادة المرجوة على مستوى الجماعات والأمم، وفشلها في تحقيق النتائج المنتظرة عندما نبتت في أذهان أصحابها، بعد ذلك كله يحق للعقيدة الدينية أن تتربع على عرش القلوب، وأن تتخذ منهاجًا لتحقيق الحياة الطيبة للأفراد والمجتمعات، في عصر حضارة متأزمة تضخمت بالمشاكل وأصبح أهلها يضجون بالشكوى. فأي دين أحق أن يتبع ليحقق السعادة المرجوة؟

---

(١) يُنظر كتابنا «الإسلام والمذهب الفلسفية المعاصرة» ص٧٠/ ٧٤. ط. دار الدعوة بالإسكندرية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

لنتفق أولًا على التعريف المتكامل للدين في ضوء الدراسات التي أجراها العلماء المتخصصون في هذا الميدان.

يعرِّف الدكتور محمد عبد الله دراز الدين بأنه: (الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، هذا من حيث هو حالة نفسية، ومن حيث حقيقة خارجية، فهو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها)[1].

والدين الحق بهذا التعريف لا تجده متحققًا إلَّا في الإسلام، ونضيف القول بأنه ليس مجرد فكرة أو فلسفة، وليس طقوسًا وعبادات روحية منقطعة الصلة بطبيعة الإنسان، ومكوناته العاطفية، وغرائزه ووجدانه، ولكنه يجمع في إطاره الكامل عقيدة التوحيد إلى جانب تنظيم أنشطة الإنسان في ميادينها المختلفة؛ في الأسرة والمجتمع والدولة، وباقي الأمم، في علاقته بغيره في شئون الاقتصاد والمال وقواعد الحكم السياسية، ومبادئ السلوك والأخلاق، في العلاقات الإنسانية كلها، مع تعريفه بالسنن الإلهية، وحكمة خلقه كإنسان له مكانته وهدفه ومصيره بالمقارنة بباقي المخلوقات التي تشاركه حياته الدنيوية لأنه أكرمها.

أضف إلى ذلك تصويب نظرة الإنسان إلى نفسه ومكوناته الروحية والجسدية وتعريفه بالحياة الدنيا وطبيعتها والغرض منها كدار ابتلاء، ومعبر للحياة الآخرة الخالدة، وضمَّ كل هذا كتاب ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ونفذت تعاليمه وأحكامه وتشريعاته بواسطة خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، كما قامت طائفة من أمته -وستظل إلى قيام الساعة- ظاهرة على الحق لا تنحرف عنه، ولا تغير ولا تبدل في أصوله وأحكامه أو تعاليمه.

وسنرى بمشيئة الله تعالى أن دارستنا ستجيب على التساؤلات التي تدور في خلد

---

(١) د. دارز الدين ص٢٥ «بحوث ممهدة لدارسة تاريخ الأديان» دار القلم، الكويت ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

الإنسان، وهي كثيرة ومتشعبة مثل: ما هو مبدأ هذا الكون ومصيره؟ هل هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة؟ فإن كانت فما هي طبيعتها؟ وما هي تعليماتها ووصاياها في هذه الحياة؟ ثم ما هي مكانة هذا الكون من حيث المجموع؟ ومن الذي يدبره بمثل هذه الدقة والنظام والحكمة البالغة الشاملة والقانون المحكم المتين؟ وما هي صفاته وصلته بالإنسان؟ وماذا ينبغي للإنسان أن تكون علاقته به؟ وهل هناك قانون خلقي عدا قوانين الطبيعة الدائرة في العالم؟ فإن كان فما هي تفاصيله؟ وما هي مكانة الإنسان الصحيحة ومنصبه في هذا الكون؟ هل هو حرٌّ طليقٌ لا يتقد بقيود وأحكام أم هو تابع محكوم؟ هل هو مسئول أمام أي قوة ومحكمة أخرى أم أنه حرٌ طليقٌ لا مسئولية عليه؟ ثم ما هو أسمى مطلوبه؟[١].

ومن معالم منهجنا أيضًا التحقق من حقيقة التطور الذي يردده الغربيون عن حضارتهم، باعتبارها تعبر عن أرقى الحضارات وأكثرها تطورًا، حيث نرى أن التطور الصحيح لا يقتصر على التقدم العلمي التكنولوجي فحسب، بل ينبغي أن يصاحبه أيضًا «تطورًا» عقائديًّا وأخلاقيًّا، وإذا بحثنا في عقائد القوم نراها قد ثبتت على عقائد الشرك والوثنية للأديان المحرَّفة أو الوضعية، أو بمعنى أدق هي امتداد لها، ومن ثم فإن العقائد قد انتكست من «التوحيد» الذي أتى به الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولا سبيل للتطور الإنساني الحقيقي إلَّا بالعودة إلى «الارتقاء» إلى العقائد الموحى بها من الله ﷻ.

إن عالم اليوم يعيش في «ردة» حقيقية عن الدين الإلهي الصحيح، إذ خضع الإنسان بإرادته إلى عبادة غيره من الكائنات في مذلة وهوان، بينما في الأصل هي مُسخَّرة ومُذلَّلة له، ولنلقي نظرة إلى القارة الآسيوية أيضًا ذات الكثافة السكانية الهائلة، وفي مقدمتها اليابان المتقدمة علميًّا وتكنولوجيًّا، فقد عبد اليابانيون مظاهر الطبيعة والأسلاف وما «الشنتوية» إلَّا مزيج من عبادة الشمس ومظاهر الطبيعة وعبادة الأسلاف وعبادة الإمبرطور المسمى «ابن السماء»[٢].

---

(١) أبو الحسن الندوي: بين الدين والمدنية ص٩، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفار عطار جـ١ ص١٨٥. ط. مكة المكرمة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

والبوذية التي تعمل على جذب الكثيرين من الأوروبيين والأمريكيين بحثًا عن غذاء للروح في الشرق، هذه البوذية عبارة عن ديانة هندية انتقلت إلى الصين، ونعجب للإنسان المتحضر المعاصر الذي ينزل إلى درك عبادة صنم، إذ من المعروف أن في «لاسا» معبد بوذي فيه تمثال بوذا من الذهب الخالص، والمعبد محلى بأغلى الجواهر، ويعبد هذا الصنم ويُحج إليه من قِبَل من يعبدونه[1].

(١) نفسه ص١٧٥/ ١٨٢.

مناهج البحث في نشأة الدين

وما دامت ظاهرة التدين بهذه الأهمية التي استرعت انتباه الدارسين من العلماء والفلاسفة بالنظر للإنسان «كمخلوق متدين»، والتدين من خصائصه الجوهرية، جاز لنا استعراض مناهج البحث في نشأة الدين، وتتبع آراء واضعيها.

اتفق العلماء إذن على أن ظاهرة التدين أصيلة في النفس البشرية ولكنهم اختلفوا في الإجابة عن السؤال الآتي: ما هي عوامل إيقاظها في النفس؟ وهنا ظهرت وجهات النظر المختلفة التي تجيب عن هذا السؤال؛ أجملها الدكتور محمد عبد الله دراز رَحِمَهُ اللَّهُ في ستة مناهج سنوجزها في الصفحات التالية، مع حرصنا على توجيه نظر الباحثين بخاصة والقرَّاء بعامة إلى ضرورة الرجوع إلى الأصل؛ أي كتاب «الدين» له؛ لأنه يعد من أفضل-بل ربما أفضل- ما كتب في العربية في العصر الحديث عن الدين ومناهج بحث نشأته، كما أن الدكتور دراز لفت نظرنا -ربما لأول مرة أيضًا- إلى وجه جديد من أوجه إعجاز القرآن الكريم، حيث يثبت عالمنا الكبير أن القرآن جمع بين هذه المناهج جميعًا، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

١ - منهج المذاهب الكونية والطبيعية الشاذة «العادية والشاذة الحنيفة»

يرى فريق من العلماء -ومنهم العالم الألماني ميلز- أن العالم الأول في إثارة الفكرة الدينية هو النظر في مشاهدة الطبيعة لا سيما الأفلاك والعناصر، ذلك أن التأمل في هذا المجال غير المتناهي يجعل الإنسان يشعر بأنه محوط من كل جانب بقوة ساحقة غلابة، قوة مستقلة عن إرادة البشر يخضع الجميع لتأثيرها، ينتقل الفكر من الكائن إلى المكون، إذ الإعجاب ببدائع الملكوت يحمل الإنسان بفكرته إلى التساؤل عن المبدع ويحفزه إلى التوجه بفكرته إليه، فيتحول إلى مناجاة مبدعه والإفضاء إليه بعبارات التبجيل العميق، والتقديس البليغ، أي العبادة، وهذه المناجاة تنطوي على عنصرين:

١ - أن الشيء الذي تتوجه إليه أهلٌ؛ لأن يستقبل حديث من يناجيه.

٢ - أنه أسمى مقامًا وأكمل صفة من الإنسان لأنه يستطيع ما لا يستطيع الإنسان[1].

ولكن يُعترض على هذه النظرية بأن استمرار الظواهر الكونية على نسق واحد يجعلها أمرًا

---

(١) د. دراز «الدين» ص١١٤.

مألوفًا، فظهر من العلماء من يرى أن إيقاظ التأمل في النفس يرجع إلى أن الحوادث الأرضية المفاجئة والعوارض السماوية النادرة كالبرق والرعد والعواصف والصواعق والخسوف والطوفان والزلازل، هذه الحوادث لها تأثيرها على المشاعر؛ كتأثير دقِّ الجرس في تنبيه الغافل وإيقاظ الوسنان، فتحفز بني آدم إلى السؤال عن مصدرها، وإذا كان لا يرى سببًا ظاهرًا اضطر عقليًا أن ينسبها إلى سبب خفي ذي قوة هائلة. هذا هو رأي العالم الإنجليزي «جيفونس» إذ يعلل التديُّن بشعور الرهبة والخشية لأنه أسبق في النفس من شعور الإعجاب.

ولكن العالم الفرنسي «ساباتييه» يرى أن شعور الرهبة والخوف من القوة العلوية لا يكفي وحده لتفسير الفكرة الدينية، ذلك أن الخوف إذا استأثر بالنفس سحق الإرادة وشلَّ الحركة وولَّد اليأس، فلا بد من شعور آخر يوازنه ويلطفه من حدته وهو الأمل والرجاء اللذان يبعثان على الدعاء والتضرع، وهذه هي حقيقة الدين[1].

٢- منهج المذاهب الروحية «أو الحيوية»

ويقصد بالروح -الخاصة الإنسانية بكيان مستقل عن الروح المشترك بين الإنسان والحيوان- أن مبدأ الحياة التفكير والإرادة المنظمة والعاطفية والضمير، والدليل على ذلك أننا نرى النائم والمغمى عليه والمصروع يتنفسون ويتغذون ويمشون، فهم أحياء بالحياة الحيوانية ليس غير حتى تعود إليهم تلك القوة الخاصة، فيعود إليهم شعورهم المنظم،

المذهب الروحي إذن بعكس المذهب الطبيعي، فبدلًا من استنتاج الكائن الغيبي من مطابقة الآثار العظمى في عالم المادة يشتق المذهب الروحي صفاءه من جنس عمله نفسه، ومن نوع التجارب التي دلَّت عليه فهو لا ريب روح عظيم؛ ذلك الذي يصنع الأسرار والعجائب الروحية، وهو لا شك عقل خلَّاق؛ ذلك الذي يمد العقول بمزيد من النور أو يكف عن إمدادها[2].

---

(١) نفس المصدر ص١٢٥.

(٢) نفس المصدر ص١٣١، والتعبيرات ترجمة عن أصحاب المذهب، ولا نتفق معهم إسلاميًا «كالقول بالعقل الخلَّاق».